ارتبطت الإجازة عند المسلمين بادئ الأمر بعلم الحديث حيث اعتبرت شرطا في روايته احترازا من الخلط بين الأحاديث أو الخطإ فيها. وكثيرا ما يلتبس مفهوم الإجازة مع مفهوم آخر هو مفهوم السند...بل غالبا ما يستعمل المفهومان باعتبارهما مترادفين (نقول فلان له سند أو إجازة في القرآن بنفس المعنى)....والإجازة في أعلى صورها توقيع للمجاز بالأهلية لرواية العلم ومزاولة الإفتاء والتدريس...

وينقل لنا التاريخ اهتمام كبار أئمة وعلماء الأمة بالحصول على الإجازات في مختلف العلوم والفنون وإعطائها لمن يرون فيه الأهلية لها..

وقد حرص القوم في بلادنا هذه على جمع أكبر قدر من الإجازات والأسانيد من معاصريهم من العلماء الكبار، بل دفع الأمر الكثير منهم إلى التنقل بين الأقطار والبلدان للظفر بإجازة نادرة أو تحصيل سند عال...وكم أثمرت مواسم المناظرات والمناقشات بين علمائنا وبينهم وبين نظرائهم في مختلف البلدان من إجازات وأسانيد كان لها الفضل الكبير في نقل المعارف ونشرها وتطويرها...

ولما غرابة، والحالة هذه، في اعتبار تحقيق ودراسة مدونة إجازات وأسانيد بلادنا مصدراً أساسيا من مصادر كتابة تاريخنا الثقافي والعلمي...

ومن هذا المنطلق ينبع اهتمام مركز البحوث والدراسات الولاتية بتوثيق ونشر الإجازات والأسانيد الوطنية عامة والولاتية خاصة...

وفي هذا السياق نبدأ اليوم بإجازة منحها عمر الملقب انبوي بن الإمام المحجوبي الولاتي1 لأحمد الصغير بن حمى الله التشيتي المسلمي2 لما فيها من فائدة بينة في إطلاعنا على مفردات المنظومة التعليمية في عهد الرجلين، وإبراز منهاج التربية والتعليم حينئذ، وكشف شروط الإجازة عندهم وتشديدهم على المجاز في ضرورة التحلي بضوابط المنهج العلمي الصارم وما يمليه من مواظبة على التحصيل والتزام التواضع، وعدم التسرع في الرد على كبار الأئمة والعلماء :

نص الإجازة:

"الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، هذا وإني أيها الكاتب لما سألني الفتى اللبيب الأريحي الأريب شاب السن مكتهل الذهن، أحمد بن حمى الله، أن أجيز له أن يروي عني مقروءاتي ومؤلفاتي، وأن آذن له في الإفتاء والتدريس والتصنيف، إن رأيته أهلا لذلك، وقد كنت وقفت على أجوبة له رائقة بفصاحة بيانه، وجودة إتقانه، وكمال فطنته، ووفور معرفته، وعلى أرجوزة نظمها نظما محكما، جمع فيها تشتيتا من العلوم لا يكاد يوجد في مجموع، فدلني ذلك على استحقاقه للإجازة وتأهله لأن يتصدر للإفتاء والتدريس والتصنيف، أذنت له بشرط المكوف على الكتب، والرجوع إليها، والوقوف مع ألفاظها وما سطر فيها، ومراعاة الأدب مع الأئمة، وترك الاعتراض، فإذا استشكل شيئا قالوه، أو لم يظهر له وجهه، فليرجع على نفسه، وليقل هذا من قلة فهمي، ولما يرد على إمام قوله إلا إذا وجده مردودا قبله، وحكى الرد عليه ونسبه للراد، وليلازم عبارات الأئمة المسطورة في كتبهم فإنها أسلم، وكثيرا ما يطرأ الخلل على ما خالف عباراتهم أو اختصر منها، فأسلم الكتب الحديثة ما لم يكن لصاحبها فيها إلا حركة الأصابع، كما أخبر به عن نفسه صاحب هبة المالك على ألفية بن مالك.

وقد أجزته فيما قرأت من كتب الفقه والنحو والبيان والمنطق والأصول والكلام والحساب وصناعة الحديث، أعني الرسالة والمختصر وتكميل المنهج لميارة، وآجروم والألفية والكافية تدريسا، وألفية سيدي عبد الله في البيان قرأت بعضها وحصلت الآخر، والتلخيص تحصيلا، وجمع الجوامع، وأم البراهين، والإضاءة تحصيلا وإقراء، وألفية العراقي إقراء، وأجزته في نظمي في البيان وشرحه، وفي غيره مما سيبلغه مما نظمت أو شرحت، أعاننا الله وإياه على إحياء السنة ونشرها ورفع منارها، وإخماد البدعة وإماتتها، ومنّ علي وعليه وعلى إخواننا المؤمنين بالثبات على الإيمان والموت عليه، وحشرنا وإياهم في زمرة المصطفى صلى الله عليه وسلم" انتهى.

---

1 هو انبويه بن الإمام محمد عبد الله بن الإمام عمر ممّه بن محمد بن أبى بكر بن محمد بن عمرنا الله بن أند عبد الله بن سيد أحمد المحجوبي. (ت 1260 ه/ 1844-43.)

كان رحمه الله صدرا من صدور العلماء، مفخرا من مفاخر الاولياء النجباء وأحد الفقهاء الاتقياء، حسن الفهم ثاقب الذهن وكان أعجوبة وقته ونادرة زمانه ماهرا في كلما يحاوله آية في الفهم والحفظ والذكاء. اشتغل في صغره وأول شبابه بالعلم حتى مهر فيه وبصر وميز وأشتهر، وبرع في الفنون كلها كلاما وفقها ونحوا وحديثا وتفسيرا جمع بين العلم العزيز والدين المتين. وكان ذا فضل ودين وصلاح ولزوم طهارة وكثرة عبادة وصوم وورع. وكان ملازما لتلاوة القرآن. معمرا الاوقات في النهار بالتفسير والمطالعة

والنسخ والتأليف وفصل الخصام وبالليل بالأذكار والأوراد والمذاكرة. لم يزل هذا دأبه وديدنه حتى توفى رحمه الله تعالى موافقا في الأقوال والأفعال مدة عمره. وأهل بلده يحبونه كلهم متفقون على فضله وكان حسن الخلق والخلق كثير التبسم طليق الوجه لكل من لقيه سخيا جدا. وكان غرة زمانه وفارس ميدانه شهد له بذلك المساعد والحاسد. وكان سريع الانقياد إلى الحق لين الجانب.
له تواليف عديدة مفيدة انتفع الناس بها منها شرحه لألفية ابن مالك سماه "عمدة السالك على ألفية ابن مالك" تداولته الطلاب حتى لا ترى قارئا للألفية في ولاته إلا به وقد جمع به من كلام الأشموني والهبة ما يشفى الغليل مع وجازة واختصار. و أما فتاويه وأجوبته في الفقه فقد كادت تعم جميع أبوابه ولو جمعت ورتبت لكانت تأليفا مستقلا في النوازل.
ولما توفى رثاه عبد المالك بن المنفاع بقوله :

لقد أفلت شمس الهدى بـــــــولاتة □□□□□□□ وضاقت على أهل الهدى والمكارم
وضاقت على من يطلب العلم جملة □□□□□ ويطلب ديـــــنا سالما من مآثـــم
لـــــفقد وليٍّ عـــــــــــارف متواضع □□□□□ ولم يخش في الرحمن لومة لائم

(نقلا عن: منح الرب الغفور في ذكر ما أهمل صاحب فتح الشكور، المطالب ببكر، تحقيق الدكتور محمد الأمين حمادي قيد النشر).

2 هو: "أحمد الصغير بن حمى الله بن أحمد بن حمى الله بن محمد بن أحمد بن حمى الله بن الشغ بن محمد بن محمد مسلم التشيتي المسلمي (ت 1272هـ)، كان رحمه الله تعالى فقيها، نحويا، فاضلا، نبيها، صدرا من صدور العلماء ومفخرا من مفاخر الأولياء النجباء وأحد الفقهاء، نحويا، لغويا، بيانيا، أصوليا، منطقيا، عروضيا، شاعرا، ذاثرا، بليغا، حسن الشعر، مجيدا، مصيبا، حسن الفهم، ثاقب الذهن...وله مؤلفات متعددة مفيدة منها، مختصر الرسالة القدسية للشعراني، ومختصر كشف القناع لابن خلدون، وأجوبة مستحسنة في مسائل شتى، ونظم في فضل التوكل على الله تعالى، ونظم في فضل الزهد، ونظم في معنى المحبة واسبابها، وأنها لا يستحقها إلا الله تعالى، ونظم في الخواطر في أمر حرف الجيم، ونظم في علم الحساب، ونظم في طبقات الشعراء، ونظم في ذيل أبيات الشيخ مُحَنْضْ باب الديماني...وأذن له أئمة عصره في الإفتاء والقضاء والتدريس والتصنيف، وشهدوا له بأهليته لذلك" : (نقلا عن: منح الرب الغفور في ذكر ما أهمل صاحب فتح الشكور، المطالب ببكر، □ تحقيق الدكتور محمد الأمين حمادي قيد النشر).